مقدمة الكتاب

ألحمد لله رب العالمين و الصّلاة و السّــلام على البشــير النذير و صاحب الكتاب المنير محمد المصطفى (ص) و على آله الطيبين الطاهرين و صحبه المنتجبين.

أمّــا بعد فإن مصطلــح «الأدب المقارن» يعــدّ مصطلحاً خلافياً لأنّه ناقــص الدلالة على المقصود منه و قد نقده كثير من النقاد و الأدباء المقارنين و لكنّهم فى النهاية آثروا الإســتمرار فى إستعماله نظراً لشيوعه و قصر لفظه.

يقول حســام الخطيب: «إن الأدب المقارن نوع مــن البحث الأدبى، كلما زاد الإعتراف بأهميته فى العالم المعاصر، أزداد فى الوقت نفسه تشعّب الآراء حول تحديد مفهومه و مصطلحه و منطقه. ذلك أنّ «الأدب المقارن» عالج منذ نشأته التى لا ترجع إلى أبعد من قرن و نصف من الزمان، حقولاً مختلفة من الدراسة و مجموعاتٍ من المشكلات، ليست دائماً على درجة كبيرة من التجانس أو التقارب (الخطيب، *آفاق الأدب المقارن عربياً و عالمياً*، ٢١). على هذا الأساس إقترحت تسميات أخرى لهذا الفرع الأدبى ذكرناها فى طيات الكتاب.

الأدب المقارن نوع من البحث الأدبى لكن يختلف تعريفه من مدرســة إلى مدرسة. فعند أصحاب المدرســة الفرنسيّة الكلاســيكيّة هو «تاريخ العلاقات الأدبيّة الدوليّة» (غويار، ١٥). أمّا أصحاب المدرســة الفرنسيّة الجديدة فيعرّفون الأدب المقارن بأنّه «هو الفنّ المنهجى، عبر بحث علاقات التشابه و القرابة و التأثير و تقريب الأدب من باقى ميادين التعبير أو المعرفة، أو الأحداث و النصوص الأدبية فيما بينها، سواء كانت متباعدة أم لا، فى الزمان و الفضاء، شريطة أن تنتمى إلى لغات متعدّدة، أو ثقافات مختلفة، تعود إلى نفس التقليد، حتى يمكن وصفها، وفهمها» (باجو، ١٩).

فهذا التعريــف الجديد للأدب المقارن عند الفرنســيين، تتقلّص معه الهــوّة الفاصلة بين المدرستين الفرنســيّة و الأمريكيّة، فالأدب المقارن عند المدرسة الأمريكية هو تلك الدراسات التى لا تبحث عن علاقات التأثير و التأثّر بين الآداب فقط ـ مثلما يرى أصحاب المدرسة الفرنسية

الكلاسيكية ـ بل تعالج علاقات التشابه و القرابة بين الآداب كما أنّها تدرس علاقة الأدب و سائر أنواع التعابير و مظاهر المعرفة الإنسانية مثل الفنون الجميلة و الفلسفة و علم النفس و علم الإجتماع و غيرهما من العلوم؛ فعلى سبيل المثال إنّها تَدرس علاقةَ نصّ أدبى مع إقتباس سينمائى أو لوحة أو قطعة موسيقية أو تقارن بين الأدب و التأريخ، و الأدب و التحليل النفسى (فضل، ١٩).

إن الأدب المقــارن، من حيث هــو علم و فن، هو أدب جديــد كلّ الجدّة على الأدب العربــى الحديث و هو كالفنون الأدبية الحديثة التى نهلها العرب عن الغرب إثر حركة الترجمة و الإنبعاث و البعثات المتخصصة كالقصة و المسرحية و الرواية و المقالة. وذلك أنّ هذا الأدب جاء إلــى الثقافة العربية متأخراً عن مرحلة وصول هذه الفنون الأدبية. فالأدب المقارن بإعتباره علماً ممنهجاً وذا أســس علمية، علم حديث يرجع ميلاده إلى القرن التاســع عشر فى فرنسا، ثم فى سائر البلدان الأوروبية؛ كما نشأ هذا العلم فى الأدبين العربى والفارسى فى النصف الثانى من القرن العشــرين. ولكنّ المقارنة الأدبية على شكلها البدائى والساذج كانت لها جذور و ملامح فى تراثنا الأدبى و فى معظم الآداب العالمية القديمة.

إنّ الأدب المقارن فى البلدان العربية و إيران لم ينشــأ نتيجة عن حركة فكرية و فلســفية كما نشــأ فى فرنسا، وكذلك لم ينشأ نتيجة عن مبدأ أخلاقى وثقافى كما نشأ فى أمريكا كما أنّه لم ينشأ إستجابة لحاجة قوميّة بل نشأ الأدب المقارن فيها اقتباساً وتقليداً من الغرب، كما أنّ سائر الإتجاهات الأدبية والنقدية دخلت البلدان العربية و إيران دون الحاجة الفكرية والفلسفية وما إلى ذلك من العوامل، رغم ذلك كله نشاهد إقبالاً متزايداً لدى الأساتذه و الطلاب فى أقسام اللغات و الآداب على فهم الادب المقارن و مدارسه و اتجاهاته و ما إلى ذلك من القضايا المتعلقة به. و من حسن الحظ أن برامج دروس اللغة العربية و آدابها فى مرحلة البكالوريوس فى إيران يحتوى على درس الأدب المقارن، وطلاب الدراسات العليا عندهم رغبة ملحة فى كتابة رسائلهم و أطروحاتهم حول المجالات المقارنية بين الآداب خاصة بين الأدبين العربى و الفارسى فضلاً عن الجهود التى بذلت وتبذل فى تأسيس الأدب المقارن، ولكن رغم هذه الجهود كلّها لا يوجد لحد الآن كتاب علمــى و منهجى يعتمد عليه فى تدريس هذه المادة الدراســية و تعليمهــا تعليماً علمياً ممنهجاً، و إنما يكتفى إما بالملازم و الكراســات التى يعدها الأســاتذة دون الوفــاء بحق المادة و المنهج و دون الجمــع بيــن التنظير و التطبيق و النظر إلى التقليــد و التجديد و إما يكتفى بتدريس كتاب غنيمى هلال (المؤســس الحقيقى للأدب المقارن العربى) وكتاب طه ندا و كتاب محمد السعيد

جمال‌الدين وغيرها من الكتب التى تنتمى كلها إلى المدرسة الفرنسية التقليدية فى الأدب المقارن، فى حين أن هذا العلم قد تطور فى العقود الأخيرة تطوراً كبيراً مادة و منهجاً، لا فى البلدان الغربية فحسب بل فى جميع الجامعات الهامة فى العالم.

وعندما عهد إلينا من قبل مؤسسة سمت القيام بمهمة تأليف كتاب فى هذا المجال، أخذنا بنظر الإعتبار الأمور التالية:

١. الأسلوب التقليدى الشائع فى تدريس هذه المادة فى أقسام اللغة العربية فى إيران و المنهج الذى يعتمده المدرسون.

٢. ألفرع التخصصى للطلاب الدارسين لهذا الدرس و الأساتذة المدرسين له.

٣. طبيعة الثقافة الأدبية و النقدية و المقارنية التى يجب أن يحصل عليها الطلاب والأساتذة.

مميزات الكتاب والهدف من تأليفه

هذا الكتاب لا يريد أن يقول كل شئ فى شأن الأدب المقارن و ليس له أن يدعى ذلك، و إن حاول قدر الإمكان أن يقدم تعريفاً جامعاً و مانعاً عن الأدب المقارن و يعرف المدارس المقارنية و الإتجاهات السائدة فيه و أن يوضح معالم كل مدرسة واتجاه و يذكر مجالات البحث فيها معتمداً على نماذج تطبيقية، متجنباً الإطالة و الإطناب، حريصاً على الإيجاز و الاختصار منعاً لتضخم المادة و دفعاً للرتابة و الملل.

و الذى دفع المؤلّف لإتخاذ هذا السبيل و إنتهاج هذا المنهج هو أنّه وجد الطلاب و أكثر المعنيين بالأدب المقارن ـ لا المتخصصين منهم ـ فى إيران و ربما فى البلدان العربية يخلطون فيما لا ينبغى الخلط فيه و وجد المؤلّفات فى هذا المجال تخاطب القارئ المتخصص المتمكن و لا تستهدف الطلاب الذين لم تكتمل معلوماتهم فى الأدب المقارن حتى لايدخلهم فى المناقشات و يوغلهم فى التباينات و الحوارات و المجادلات التى من شأنها أن تضايق القارئ و تفسد عليه سلامة التلقى. بناء على هذا فقد حاول المؤلّف التبسيط فى الإتيان بالمطالب و إختار منها ما يناسب و شأن الطالب غير المتمكن المتلهف إلى قراءة و فهم ما يحتاج اليه؛ فلذلك روعى الترتيب التاريخى فى نشأة الأدب المقارن و تطوره و تُقُصّيت جذور و ملامح الأدب المقارن فى أوروبا القديمة و الجديدة و فى الأدب العربى قديمه و حديثه و أُلقيت نظرة عابرة إلى ملامح الأدب المقارن فى الأدب الفارسى قديمه و حديثه نظراً لطبيعة الطالب الثقافية والأدبية.

هذا الكتاب حصيلة دراسة الأدب المقارن و تدريسه أكثر من عشر سنوات فی الدراسات العليا بجامعة تربيت مدرس فی طهران. حاولتُ فيه ـ قدر الإمكان ـ الجمع بين الأصالة و الحداثة والنظرية و التطبيق بصورة مركزة، جعلته بين أيدی طلبتنا الأعزاء فی أقسام اللغة العربية و آدابها فی جامعات إيران وسائر الراغبين فی الأدب المقارن لأنهم لايمتلكون كتاباً منهجياً يلم معالم الأدب المقارن بصورة واضحة و يجمع هذه الميزات، حيث وجدت أغلب الكتب التی تناولت الأدب المقارن تناولت عالجت جانباً و تركت الجوانب الأخری؛ منها ما تطرق إلی القسم النظری فی الادب المقارن و أفاض القول فيه بالتعقيد و الغموض لا يتناسب و مستوی الطلاب و غير المتخصصين و ترک الجانب التطبيقی، الأمر الذی يجعل الأدب المقارن بعيد المنال ويشككك فی جدواه؛ و منها ما جعل الأدب المقارن غربی النشأة و المولد ـ والحق كذلک ـ غربی البقاء و النماء؛ الأمر الذی يجعلنا تابعين للغرب و يسمّم عقول طلبتنا مقصوداً، أو غير مقصود.

و لاشک أن فضل التأسيس العلمی و الممنهج للأدب المقارن يرجع إلی الغربيين و وفد إلينا هذا العلم علی سبيل التلاقح ولكن أن نجرّد الأدب المقارن فی بقائه و نمائه و تطوره من إستلزاماتنا الثقافية والفكرية و الفلسفية و الإسلامية هذا أمر يجب أن ننتبه إلی خطره فی عقول طلبتنا و نذكّرهم إياه، لذلک حاولت سداً للفراغ الموجود أن أدرس إشكالية الأدب المقارن عن طريق التطرق إلی نظرية الأدب الإسلامی المقارن و أعلامه و أسسه، وهكذا عن طريق تقصّی جذور وملامح الأدب المقارن فی النقد الأدبی العربی القديم.

حاولنا فی هذا الكتاب ـ علاوة علی ذلک ـ أن ندرس مكانة الأدب المقارن فی الأدب العربی الحديث و نقرّر موقفنا منه فی الحال و المستقبل بالتنظير ولا نقف موقف المستسلم. من هنا جاء هذا الكتاب تلبيةً لرغبة طلابنا و كل من عنده هواية و علاقة بهذا العلم فی كتاب يعلّمهم ملامح الأدب المقارن فی القديم و نشأته علماً فی العصر الحديث ونمائه و تطوره متمثلاً فی المدارس و الإتجاهات المختلفة.

بين دفّتی الكتاب

يضم الكتاب بين دفّتيه أربعة أبواب: ثلاثة منها نظرية و واحد منها تطبيقی خالص، ففی الباب الأول تطرقنا إلی الأدب المقارن فی موكب التاريخ و فی ضمن هذا العنوان الأساس مرّرنا بلفظ الأدب المقارن و مصطلحه و أهميته ابتدأ كضرورة ملحة ثم أشرنا إلی ملامح الأدب

المقارن فی أوروبا القدیمة، و أوروبا القروسطیة، ثم أفضنا القول فی نشأة الأدب المقارن فی أوروبا الحدیثة بدءاً بالقرن الخامس عشر و ختاماً إلی القرن العشرین و بذلنا جهدنا أن ندرس هنا الأدب المقارن لدی أعلامه البارزین الذین لهم دور فی حرکة هذا العلم الحثیثة إلی الأمام.

أمّا الباب الثانی فیشتمل علی مدارس الأدب المقارن و اتجاهاته و مؤهلات الأدیب المقارن و مجالات البحث فیه لدی کل من هذه المدارس و الإتجاهات کالمدرسة الفرنسیة فی شقّیها التقلیدیة و الإصلاحیة، و المدرسة الأمریکیة، و الإتجاه السلافی (الأوروبی الشرقی)، و الإتجاه الإسلامی فی الأدب المقارن الذی سمّیناه بنظریة الأدب الإسلامی المقارن.

أمّا الباب النظری الثالث فهو اختص بالأدب المقارن فی الأدبین العربی و الفارسی القدیمین و الحدیثین و فی ضمنه درسنا دراسة عابرة ملامح المقارنة و الموازنة فی النقد العربی القدیم و النقد الفارسی القدیم ثم تطرقنا أولاً إلی الأدب المقارن العربی الحدیث دارسین أعلامه و إتجاهاته و الإشکالیة التی یواجهها ثم إستعرضنا الأدب المقارن فی إیران فی المراحل الثلاث: التأسیس فالإلغاء ثمّ مرحلة الإستئناف من جدید مشیرین إلی أعلام کل مرحلة و الدور الذی قاموا به و فی النهایة أشرنا إلی إشکالیة الأدب المقارن فی إیران.

إمّا الباب الرابع و الأخیر فهو الباب التطبیقی و الإجرائی، نظراً لأهمیة الدراسات التطبیقیة و العملیة لهواة هذا العلم رأینا لزاماً أن نأتی بنماذج تطبیقیة تعین علی فهم الأدب المقارن و إتجاهاته و مدارسه فهماً عملیاً لذلک درسنا خمسة مواضیع: ثلاثة منها بین الأدب العربی و الفارسی و هی الوقوف علی الأطلال و الدمن، و قصة لیلی و المجنون، و المدرسة الکلاسیکیة الجدیدة بین الأدبین العربی والفارسی و درسنا موضوعاً بین الأدب العربی و الأدب الأوروبی تحت عنوان: قصة حی بن یقظان و قصة روبنسون کروزو و أخیراً خصّصنا موضوعاً لصورولوجیا تحت عنوان: صورة الافغان فی کتب ثرثرة فوق العالم (دراسة صورولوجیة) هذه الموضوعات غیض من الفیض فی المجال التطبیقی لأن هناک مواضیع تطبیقیة متعددة تستحق الدراسة فی ضوء نظریة الأدب المقارن.

و إن کان لابد من کلمة ختام فی نهایة هذه المقدمة فهی کلمة شکر و تقدیر أتوجه بهما لکل من کان له ید فی انجاز هذا العمل أخص منهم بالذکر الأستاذ المفضال أ. د. حامد صدقی الذی له فضل المشارکة فی کتابة و تقدیم المشروع الإبتدائی للکتاب فله منّی جزیل الشکر والإمتنان، کما أتقدم بشکری الجزیل و عرفانی الجمیل إلی تلمیذی سابقاً و زمیلی راهناً

ا. د. هادی نظری منظم الذی تجشّـم عناء قراءة الکتاب قراءة دقیقة و متأنیة و ذکّرنی ما فاتنی وتدارک بعض الهفوات، فله منّی جزیل الشـکر و التقدیر؛ و أقدم شـکری أیضاً إلی ا. دانش محمدی رکعتی طالبی فی مرحلة الدکتوراه و الأخ محمد کبیری طالبی فی مرحلة الماجستیر الذین سـاعدانی فی تنسیق و ترتیب الملفات المضغوطة (الفایلات) و إعداد البعض الآخر کما أن لـلأخ کبیری دوراً فی قراءة الکتـاب وطبع التنقیحات المتتالیة من جدید وأخیراً شـکری موصول إلی العاملین فی مؤسسـة سمت الرزینة رئیساً، و مساعداً، و مدیراً، و موظفاً الذین لهم الفضل الأساس فی تغطیة حاجات الجامعات إلی الکتب العلمیة و الأکادیمیة.

وفـی نهایـة المطاف أرجو من الأسـاتذة الأفاضل و الزمـلاء الأکارم أن یتفضّلوا علیّ بتقدیم ملاحظاتهم السـدیدة وآرائهم القیمة لأستفید منها فی طبعات الکتاب القادمة؛ فالکمال لله وحده و هو الموفق إلی الصواب و له الحمد أولاً و أخیراً.

خلیل پرویني
أستاذ مشارک فی قسم اللغة العربیة و آدابها بجامعة تربیت مدرس